للمجرمين نكرة في سياق النفي فيعم جميع انواع البشرى في جميع الاوقات و شفاعة الرسول لهم من اعظم
البشرى فوجب ان لا يثبت ذلك لاحد من المجرمين قوله اي وعمدنا الى ما عملوا لما لم يجز اسناد
حقيقة القدوم اليه تعالى لكون القدوم عبارة عن مجيء المسافر بعد مدة و ذلك يكون بالحركة التي
هي من خواص الاجسام ومقتضية لحدوث الموصوف بها ولذلك استدل الخليل عليه السلام بافول الكواكب
على حدوثها وقد ثبت انه تعالى منزه عن الجسمية والحدوث فلذلك اول قوله تعالى وقدمنا بقوله وعمدنا
فان القصد هو المؤثر في القدوم فاطلق اسم المسبب على السبب ليكون المجاز في المفرد وليت شعري كيف
احتيج الى اعتباره مع جعله من تشبيه الهيئة بالهيئة كما صرح به حيث قال وهو تشبيه حالهم بحال
قوم وفي مثله تكون المفردات مستعملة في معانيها الاصلية وانما التجوز في اللفظ التركيبي والظاهر
انه ليس مراد المصنف بقوله اي وعمدنا جعل القدوم مجازا عن العمد بل يريد به انه يعبر عن الهيئة المشبهة
الى جعل نظم الآية مجازا عنها ثم انه تعالى لما بين حال الكفار في الخسار الكلي والخيبة التامة شرع
وصف اهل الجنة تنبيها على ان الحظ كل الحظ في طاعة الله تعالى فقال مستقر اهل الجنة خير من مستقر
اهل النار وكذا مقيلهم خير من مقيلهم فان قيل كيف يكون اصحاب الجنة خير مستقرا من اهل النار ولا خير
في النار ولا يقال العسل احلى من الخل فالجواب انه من قبيل التقريع والتهكم كما في قوله اذلك خير ام جنة
الخلد وما دلت الآية على ان مستقر اهل الجنة غير مقيلهم فسر المستقر بالمكان الذي يستقر فيه اكثر
الاوقات والمقيل بالمكان الذي يؤوى اليه للتمتع بالازواج قوله اذ لا نوم في الجنة لان اهلها ابدا في
نعيم يعرفونه كما ان اهل النار في عذاب يعرفونه فلا نوم في واحد منهما قوله وفي لفظ من رمز الى ما يتزين
به مقيلهم من حسن الصور اي صور ازواجهم من الحور العين والتحاسين جمع تحسين مصدر حسن سمي به
ما يحسن به الشيء من الزخارف كالتصاريف والتضاعيف يسمى بهما ظروف الزمان والاشياء التي
قوله تعالى ويوم تشقق العامل في يوم اما اذكر او الفعل المقدر المدلول عليه بقوله تعالى الملك يومئذ
الحق للرحمن تقديره ينفرد الله بالملك وقرأ الكوفيون وابو عمرو هنا وفي ق تشقق بتخفيف الشين و
الباقون بتشديدها واصل القراءتين تتشقق حذف الاولون احدى التائين للتخفيف والباقون
ادغموا التاء في الشين لما بينهما من المقاربة وهذه الآية مرتبطة ايضا بما قبلها من انزال
الملائكة فبين الله تعالى ان ذلك يحصل في يوم له صفات منها ان السماء تشقق في ذلك اليوم ومنها ما ذكره

بقوله

بقوله الملك يومئذ الحق للرحمن ومنها قوله وكان يوما على الكافرين عسيرا ومنها قوله ويوم
يعض الظالم على يديه قوله بسبب طلوع الغمام منها يعني ان الباء في قوله بالغمام سببية فان طلوع
الغمام منها سبب لانشقاقها كما تقول تشققت الارض بالنبات لكون طلوع النبات منها سببا
لتشققها وليس طلوع الغمام والنبات آلة للانشقاق لان آلة الفعل يتقدم وجودها على وجود الفعل
وليس الطلوع متقدما على الانشقاق في الوجود حتى يكون آلة له الا انه شبه بالآلة في كونه سببا
للفعل والمعنى ان السماء تنفتح بغمام يخرج منها وفي الغمام الملائكة عليهم السلام ينزل وفي ايديهم صحايف
اعمال العباد وقيل الباء فيه للحال اي ملتبسة بالغمام او وعليها غمام كما يقال ركب الامير
بسلاحه وخرج بثيابه اي وعليه سلاحه وثيابه وقيل الباء هنا بمعنى عن اي عن الغمام ومعنى انشقت
الارض عن النبات ان التربة ارتفعت عنه عند طلوعه وكذا في قوله تعالى يوم تشقق الارض عنهم فتشقق
الغمام لنزول السماء فتبقى الغمام فوق رؤوس الخلايق يظلهم قال الامام النسفي الغمام فوق السموات
السبع وهو سحاب ابيض غلظه كغلظ السموات السبع ويمسكه الله تعالى اليوم بقدرته و ثقله اثقل من
ثقل السموات فاذا اراد الله تعالى ان يشقق السموات التي ثقله عليها فانشقت فذلك قوله تعالى تشقق
السماء بالغمام اي بثقل الغمام فيظهر الغمام الى ههنا كلامه فعلى هذا يحتمل ان يكون قوله تعالى هل ينظرون الا
ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة معناه ان يأتيهم بظلل من الغمام والملائكة فان الباء و
في يتعاقبان كثيرا وروي في الخبر انه تنشق السماء الدنيا فتنزل ملائكة سماء الدنيا بمثلي من في
الارض من الجن والانس فيقول لهم الخلق افيكم ربنا يعنون هل جاء امر ربنا بالحساب فيقولون
لا وسوف يأتي ثم ينزل ملائكة السماء الثانية بمثلي من في الارض من الملائكة والانس والجن
ثم ينزل ملائكة كل سماء على هذا التضعيف حتى ينزل ملائكة سبع سموات فيظهر الغمام وهو
كالسحاب الابيض فوق سبع سموات ثم ينزل الامر بالسحاب فذلك قوله تعالى ويوم تشقق السماء
بالغمام وتنزل الملائكة الا انه قد ثبت ان الارض بالنسبة الى سماء الدنيا كحلقة في فلاة فكيف بالقياس
الى الكرسي والعرش فملائكة هذه المواضع باسرها كيف تسع الارض لكل هؤلاء والعلم عند الله علام
الغيوب قوله وقرأ ابن كثير وننزل الملائكة بنونين ثانيهما ساكنة من الانزال ونصب الملائكة على
انه مفعول به وكان من حق المصدر في هذه القراءة ان يجيء على انزالا الا انه لما كان انزل ونزل

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)